أُوعَاس، أحمد بن عمر المزوجي القلعي المشهور أيضا بلقب El Cabo Moreno أي رئيس القبيلة الأسمر، الذي أطلقه عليه الإسبان، وعرف في قبيلته بالشيخ أحمد أوعاس. أحد كبار أعيان قلعية في وقته. من جماعة أولاد عيسى بفرقة بني انْصار، من قبيلة مزوجة، إحدى القبائل الخمس المكوِّنة لاتحادية قلعية.

ولد حوالي منتصف القرن التاسع عشر ونشأ بقبيلته على الشجاعة والشهامة والكرم، وعاش الأحداث الكبرى التي شهدتها هذه المنطقة خلال النصف الثاني من القرن، نتيجة توسيع حدود مليلية بعد حرب تطوان، وترعرع في جو التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على ذلك.

تعاطى الفلاحة منذ شبابه، وكان له عزيب بأولاد ستوت وآخر بكبدانة وثالث ببوعرگ (مزوجة) ينتقل بينهما بقطيعه الضخم من الغنم والجمال والبقر، إلا أن اهتمامه الأساسي كان موجهاً للتجارة بين مليلية وفاس والجزائر؛ يقتني بعض المنتجات من الأسواق المحلية، خاصة الغذائية منها، ثم يوجهها إلى مليلية فيعود منها بالسلع الأكثر رواجا في المغرب مثل السكر والشاي والشموع والقهوة والأثواب... فيوزع جزءا منها بالريف ويوجه الباقي إلى فاس وغيرها بواسطة قافلة كان قد كلف بها أحد إخوته ؛ أما هو فكان يسافر إلى القطر الجزائري، وخاصة وهران، على رأس قافلة أخرى فيجلب منها الأجواخ المختلفة وغيرها من السلع المطلوبة في الريف.

وبفضل هذه الموارد الفلاحية والتجارية تراكمت لديه ثروة كبيرة في شكل أموال وأراض ومطامير وماشية وغيرها من الأملاك أهلته للرئاسة في قبيلته مزوجة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد امتلك معظم الأراضي التي كانت تمر منها الطريق الرابطة بين مليلية وسلوان، مما أتاح له مراقبة طريق القوافل فاكتسب مزيداً من النفوذ عززه ووطده بإنشائه في سنة 1897 محطة بديوانة بني انصار لاستراحة وإقامة التجار احتوت على فندق ومقهى ومرافق أخرى لإيواء الدواب ووضع السلع وغير ذلك. وأصبح هذا المكان يعرف باسمه (La Posada del Cabo Moreno)، ويوجد على بعد بضع عشرات الأمتار غرب جمارك بني أنصار الحالي.

وبفضل كل هذا أصبح الشيخ أُوعاس معروفا لدى الخاص والعام، من قبيلته وخارجها، مهاب الجانب، يسير محاطاً بأقربائه وأتباعه ممتطيا جواده، متقلداً أبدا بندقيته «التساعية» التي ما كان يمتلك مثلها في الريف سوى نخبة من كبار الأغنياء لثمنها الباهض، وكان شديد الاعتزاز بها. له حظوة واعتبار لدى تجار مليلية إسباناً ويهوداً، وتقدير واحترام عند حاكم نفس المدينة، كما ربطته صداقات متينة مع كثير من الإسبانيين خاصة مع الكولونيل (فيما بعد) گابرييل موراليس Gabriel Morales (الذي قتل في معارك أنوال لسنة 1921) حيث كان كثير التردد عليه في منزله. فكان الإسبان يعتبرونه أكبر صديق لهم في المنطقة ؛ ومع ذلك كان حريصاً على تربية أبنائه تربية إسلامية، فبنى كتّابا (مسيداً) صغيراً بداخل منزله استقدم له فقيها خاصا يعلمهم الكتابة ويحفظهم القرءان ويلقنهم العلوم الدينية الأخرى. وكانت له صداقة حميمة مع الثري الحاذق محمادي بن علي زريوح الفرخاني المزوجي (أمين سابق). كما كان من المقربين من سيدي الحاج عبدالقادر بن عبدالقادر زعيم زاوية وُوْرْكْ (أبني شيكر) القادرية الذي قام بدور كبير في حرب مليلية سنة 1898 لنفوذه الواسع في كل قلعية وخارجها.

وقد شكل هؤلاء الثلاثة في السنوات الأولى من هذا القرن ركائز أساسية لسلطة المخزن ولسياسته في المنطقة لحفظ الأمن والاستقرار وتجنب الاصطدامات مع الإسبانيين، نظراً لما كان لهم من النفوذ في القبيلتين المتاخمتين لمليلية: مزوجة وبني شيكر. ولعل مصالحهم كانت تفرض عليهم التعاون المشترك مع المخزن حتى تستمر التجارة (موردهم الأساسي) مع مليلية، لذلك تآزروا مع قائد الحامية المخزنية المرابطة بقصبة فرخانة (المعروفة محليا بدار المخزن) التي بناها المخزن بعد حرب 1893 لتعزيز سلطته في منطقة الحدود مع مليلية، على بعد حوالي 800 متر من آخر حصن إسباني. إلا أن تشابك المصالح دفعهم أيضا ـ خاصة الشيخ أُوعاس ـ بطريقة أو بأخرى، إلى توطيد العلاقات مع الإسبانيين والتقرب منهم، مما كان ينفر الناس منهم خاصة سكان القبائل البعيدة عن مليلية الذين لا مصالح لهم بها. وعندما وصل مولاي عرفة إلى مليلية في فبراير 1903 في محاولة تكوين حركة من الريف يهاجم بها أبا حمارة في تازة، فإنه اعتمد في ذلك على هؤلاء الثلاثة بالخصوص. إلا أن ابا حمارة لم يمهلهم. إذ لما علم بخطة المخزن، سارع لتوجيه قواته إلى الريف وعلى رأسها محمد بن الحاج علي الشاذلي (من أعيان مزوجة، هاجر إليها من بني سعيد) وبن شلال (من بني بويفرور) الخصمين اللدودين لكل من أحمد أوعاس ومحمادي الفرخاني، فاستولت على صبة فرخانة يوم 13 أبريل 1903 بعد فرار حاميتها إلى مليلية ومنها أبحرت إلى طنجة بعد ذلك بأربعة أيام. كما التجأ أنصار المخزن أيضا إلى مليلية بما فيهم الشيخ أوعاس وغيرهم ...، ومكث بها فترة إلى أواخر يوليوز، انكب فيها مع الفرخاني وسيدي الركيكة ـ الذي وصل إلى مليلية في يوليوز ـ على العمل لكسب الأنصار لتنظيم حركة مضادة لبو حمارة وإعادة سلطة المخزن في قلعية وذلك بتوزيع أموال باهظة على ذوي النفوذ في المنطقة، وعندئذ عاد أوعاس إلى موطنه مصمماً العزم على الدخول في المواجهة المسلحة ضد أنصار بو حمارة الذين كان يتزعمهم بالمنطقة الشاذلي المذكور، فوقعت بين الفريقين اشتباكات عنيفة كانت الغلبة فيها لاتباع هذا الأخير واضطر الشيخ أوعاس في فاتح غشت إلى الالتجاء إلى مليلية مع أهله وأتباعه تاركين

وراءهم منازلهم وممتلكاتهم بين أيدي أنصار بو حمارة يعبثون بها، ونزلوا بمخيمات قرب الحدود هيأها الإسبان لهم.

ويبدو أن وقع الهزيمة كان قويا على أُوعاس وأصدقائه؛ لقد وجدوا أنفسهم فجأة يفقدون كل شيء دفعة واحدة : فالمخزن الذي كانوا إلى وقت قريب، يستمدون نفوذهم منه ويحتكمون إليه لم يعد له وجود بالمنطقة. كما أن إسبانيا التي عانوا بسببها مشاكل كثيرة مع أبناء جلدتهم لاتهامهم إياهم بالتواطؤ معها...، قد انحازت لصالح بوحمارة، لأن «الحياد» الذي تظاهرت به لم يكن في الحقيقة إلا أسلوبا لبقاً لإقناع أصدقائها بسياسة الأمر الواقع، وتبريراً ديبلوماسياً لتنكرها للاعراف الدولية ولالتزاماتها تجاه المخزن، خاصة عند موافقتها على طرد موظفي الجمارك المخزنيين وقبولها التعامل بدلهم مع موظفي بو حمارة ؛ أضف إلى ذلك استقبال حاكم مليلية رسميا لبعض قواد بوحمارة وترخيصه لهم بدخول مليلية بكل حرية، علما بأن الإسبانيين كانوا على دراية تامة بحقيقة أمر الفتّان ! فما العمل إذن أمام هذا الوضع الحرج بعدما تبين لأوعاس عجز المخزن، ويئس من مساندة اسبانيا له؟ يبدو أن الطريق الذي سلكه لم يقل خطورة عن المأزق الذي وجد نفسه فيه، ومع ذلك فإنه كان حلا بالنسبة إليه.

فقد حاول هو وحلفاؤه البحث عن سبيل للارتباط بفرنسا للاحتماء بها ضد بطش بوحمارة، ونكاية في إسبانيا التي فضلت عليهم السادة الجدد، لذلك أبدى الثلاثة ترحيبا كبيراً باقامة مؤسسة تجارية فرنسية في أي نقطة شاءت فرنسا على شاطئ قلعية، مما كان يعني ضربة قاتلة لمليلية كمركز تجاري بحري وحيد في المنطقة. ويبدو أن السلطات الفرنسية بوهران أوعزت إليهم بتقديم طلبات للحصول على الحماية الفرنسية بواسطة گابرييل ديلبريل Gabriel Delbrel، الجاسوس الخطير، الذي حضر إلى مليلية وأجرى معهم مفاوضات من 9 غشت إلى فاتح سبتمبر. وخلال هذه الفترة راجت بمليلية أنباء أفادت بأن فرنسا ستتدخل في شؤون المغرب، فسارع الأعيان الثلاثة لطلب حماية فرنسا بواسطة رسائل موجهة إلى وزير خارجيتها ديلكاسيه Delcassé بتاريخ 29 غشت 1903. إلا أن ذلك لم يصرف أوعاس عن الانشغال بمقاومة سلطة بوحمارة في الريف.

ويبدو أن الشروط القاسية للإقامة في المخيمات بمليلية وما كان يثيره التجاؤهم إليها من شبهات واتهامات من طرف السكان، إضافة إلى نفاد المؤن واقتراب موسم الحرث... قد حددت موقف أوعاس وأتباعه بالرجوع إلى ديارهم بعد أداء ذعيرة باهضة، فأتاحت لهم هذه العودة فرص تجديد الاتصالات مع رجال القبيلة ومحاولة إقناعهم بزيف ادعاءات بو حمارة. وفي هذه الأثناء وصلهم عن طريق مُحمادي الفرخاني الذي كان مقيما بمليلية، بأن محلة عزيزية خرجت من تازا قاصدة وجدة. فاعتقدوا بأن الفرصة سانحة لتنسيق الهجوم على بو حمارة وأنصاره في الريف ووجدة، فاندلعت فوق أرض مزوجة معارك أكثر عنفا من السابقة انهزم فيها أنصار المخزن الذين كان يقودهم أوعاس وحليفه ميمون الحاج حدو، فاضطروا مرة أخرى للالتجاء إلى مليلية متبوعين بأسرهم ومواشيهم ودوابهم، حاملين معهم ما خف وزنه وغلا ثمنه، وأقدم الثوار على إفراغ المطامير من محتوياتها واحراق أكثر من 700 متر بعد نهبها. ولم يتمكن الشيخ أوعاس من الرجوع إلى داره إلا بعد أداء ألف ريال إسباني غرامة. وفي هذه المرة، تدخل بوحمارة فأرسل وزيره صالح بن عمرو في فبراير 1904 للمصالحة بين الشاذلي و أوعاس. إلا أن ذلك لم يدم طويلا، إذ تجدد قتال أشد ضراوة من السابق يوم 7 مارس، أصيب أوعاس خلاله بجراح بليغة نقل على إثرها إلى المستشفى العسكري بمليلية، فتوفي فيه متأثراً بجراحه يوم 8 مارس 1904، بعد أن أمضى أكثر من سنة في الدفاع عن سلطة المخزن بقلعية. أما أتباعه فقد أرغمتهم الهزيمة مرة أخرى على الالتجاء إلى مليلية فراراً من انتقام وبطش بوحمارة وأنصاره، متألمين من فقدان رئيسهم. وبوفاته خلا الجو للشاذلي حيث تقوى نفوذه في قلعية كلها.

ورغم اتخاذ هذه المعارك طابع صراع بين لفين حول النفوذ والزعامة فإنها كانت في واقع الأمر انعكاساً للوضع الاجتماعي بالمنطقة عند بداية هذا القرن، وتجسيداً للمقاومة العنيفة التي أبداها سكان قبيلة مزوجة لسلطة بوحمارة بزعامة الشيخ أحمد أوعاس.

وقد خلف أوعاس أسرة فيها رجال ورثوا عنه الجاه والشهامة وصدق الكلمة ومكارم الأخلاق، منهم السيد عمرو أوعاس الذي تولى قيادة قبيلة مزوجة في الثلاثينات من هذا القرن، فلم يعرف عنه أنه آذى أحداً خاصة من الوطنيين، بل كان يخفي على سلطات الاحتلال كل ما من شأنه أن يضر بمواطنيه ؛ ومنهم أيضا السيد المصطفي أوعاس الذي عمل موظفا بدائرة قلعية، وكانت له مواقف وطنية مشرفة منها احتياله على السلطات الاستعمارية وإطلاق سراح السيد الحاج أحمد عمرو علال البويفروري (غالب)، قطب الوطنية في الريف، عندما اعتقل للمرة الأولى بسبب نشاطه السياسي.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية - باريس ؛ *وثائق الحربية الإسبانية* - مدريد ؛ أعداد من جريدة *تلغراف الريف* *El Telegrama del Rif* خلال سنوات 1909 - 1904 ؛ *رواية شفوية*، خاصة عن الأستاذ عبدالعزيز أوعاس.

G. Delbrel, *El Pretendiente y sus harcas en el nordeste marroqui*, in *Marruecos*, Tanger, 1909 ; Maldonado. E, *El Rogui*, Tetuan (s.d).

مصطفى أربيب

أُوعْقّي، محمد ولد سنة 1908 بإيموزار مرموشة إقليم بولمان. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل في الوحدة التي كانت متمركزة في مسقط رأسه. شارك في عدة معارك واشتباكات ضد قوات الاحتلال الفرنسي تحت قيادة